التَّبايُنُ بَيْنَ دِلالاتِ الجُذُورِ المُعْجَمِيَّةِ عِنْدَ ابْنِ فارِس (ت ٣٩٥هـ)

د/ مصطفى محمد صلاح
باحث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

• **مُخْتَصَرُ البَحْثِ:**

يتناول هذا البحث بالدراسة (تباين دلالات الجذور المعجمية عند ابن فارس المتوفى ٣٩٥هـ)، مع بيان أنواع هذا التباين، من خلال جهود ابن فارس في "مقاييس اللغة"، مع مقارنة ذلك بما اشتملت عليه المعجمات العربية الأخرى من دلالات الجذور. والبحث يدرس بصورة نقدية صحة هذا التباين، وإن صح فما أسبابه؟ مع إحصاءٍ لهذه الجذور المتباينة الدلالة التي وقف عليها الباحث، والنظر فيها هل يطرأ عليها معانٍ أخرى متباينة، أو معنى يجمعها أو يجمع بعضها فيما بعد مع تطور اللغة؟

وتكمن أهمية هذا التناول في أن اللغة العربية لغة اشتقاق تكاد تدور معاني جذورها حول دلالات متقاربة لها رابط يجمع بينها وخَيْطٌ ولو كان رفيعًا، ومن ثَمَّ يُلْقِي البحث الضوء على أن هذا الأمر لا يسير على وَتِيرَةٍ واحِدَةٍ، وإنما تتقارب دلالات الجذور كما هو معروف، وقد تتباعد، وتتضاد، وتشبه التضاد، وتتفاوت وتختلف - بصرف النظر عن درجة هذا التفاوت أو ذاك الاختلاف - وقد تتباين دلالتان يمكن الجَمْعُ بَيْنَهُما، وقد يصل الأمر إلى أن تكون الدلالة شاذة عن بقية الدلالات الأخرى. وكل هذا وذاك يساعد على بناء جذور المعاجم الحديثة في ضوء هذا الفهم الواسع للعلاقات بين دلالات الجذور، كما يساعد على معرفة المعاني التي تشملها الجذور بطريقة أفضل، ويصل بنا إلى نتيجة جديدة يعرضها البحث، وهي أن الاشتقاق من جذور اللغة العربية لا يلزم منه التقارب الدلالي بينها فقط، وإنما له علاقات أخرى متدرجة قد يصل بعضها إلى التضاد أو الشذوذ، وكما اصطلح مستخدمو اللغة عرفيًّا على استعمال المعنى الأصلي اصطلحوا على استعمال المعاني الأخرى أيضًا.

الكلمات المفتاحية:التباين – دلالات الجذور – المعاجم العربية -ابن فارس – التضاد – التباعد -التفاوت.

the variation between the semantics of the lexical roots for Ibn Faris (395 AH)

Researcher's Name: Mostafa Mohammad Salah

Abstract

This research in the study addresses the variation of the semantics of the lexical roots of Ibn Faris who died in 395 Hijri, and indicating the types of this variation through the efforts of Ibn Faris in his book "Maqayis Allugha" and showing these distinct semantic lexical roots. Regarding the importance of this approach showing the Arabic language is an etymological language most of the meanings of its roots have close semantics. And then this research sheds light on this issue that these roots do not have the same meaning and sometimes have totally different meanings that vary, contradicts look like antonyms, and all of these help us to establish the roots of the modern lexicons in the light of this broad understanding of the relationships between the semantics of the roots which leads us to a new result that the derivation of the Arabic language roots does not only show the semantic convergence but it shows divergence and gradual relationships that might reach to antonyms.

keywords:

The Contrast – Roots semantics – Arabic lexicons – Ibn Faris – Antagonism – Divergence – The variation

التَّبايُنُ بَيْنَ دِلالاتِ الجُذُورِ المُعْجَمِيَّةِ عِنْدَ ابْنِ فارِس (ت ٣٩٥هـ)

د/ مصطفى محمد صلاح

باحث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة

أولًا: مُقَدِّمَةٌ:

يَظْهَرُ الحديث عن التباين جَلِيًّا عند ابن فارس في حديثه عن دلالات الجذور المعجمية، حين ربط المعاني الجزئية للمادة فيها بمعنى عام يجمعها. وكان ابن فارس يحرص على ذِكْرِ المتباين من دلالات الجذور حِرْصَهُ أو يزيد على ذِكْرِ المتقارب المعنى منها، وقد أضفى صفاتٍ وعباراتٍ مختلفةً على دلالات الجذور في حديثه عن المتباين منها، فكان منها المتباعد، والمتضاد، والذي كأنَّه من باب الأضداد، والمتفاوت، والمتباينان في الظَّاهِرِ اللَّذانِ يمكن الجَمْعُ بَيْنَهُما، والشّاذُّ، مما سوف يعرضه البحث إن شاء الله تعالى. وتشير المعجمات العربية إلى أن معنى التباين بين الأمرين: البعد والافتراق والاختلاف؛ فقد تتفق الكلمتان في اللفظ، وتختلفان في المعنى.

وللتباين أسباب، قال ابن فارس في سياق تعليله تباينًا أورده: "ورَبُّكَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ"(١)، وقال في موضع تعليلِ تباينٍ آخر: "ورَبُّكَ جَلَّ ثَناؤُهُ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ، ويُنْطِقُ خَلْقَهُ كَيْفَ أَرادَ"(٢). وهكذا يرد ابن فارس ذلك إلى تقدير الله تعالى وحُكْمِهِ، ومع إيمان الباحث بأن كل شيء هو بأمر الله وقدرته وتدبيره، فإن الله تعالى جعل أسبابًا تُفَسِّرُ كثيرًا مما يبدو لنا غير واضح، ومنها أنه سبحانه جعل اللغة العربية لغةَ اشتقاقٍ تكاد تتقارب فيها معانٍ حقيقية ومجازية تستقي من معين واحد هو الجذر اللغوي المشترك الذي تدخل تحت مظلته كلماتٌ ذات واشجة قربى ونَسَبٍ، قربت أو بعدت، وليس أدل على ذلك من أن هذا هو الأصل، وأن هذا البحث يدرس ما نَدَّ عَنِ الأصل وأصبح مُتَباينًا.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٦٤.
(٢) المصدر السابق، ٣/ ٩٦.

ومن ثم فإن الباحث يضيف إلى السبب الذي ذهب إليه ابن فارس سببًا آخر، وهو العُرْف الذي جعله الله تعالى سائدًا بين الجماعة اللغوية؛ فإن الله تعالى الذي خلق هذه اللغة وهذا اللسان، جعل أيضًا اختلافًا بين لسان المتكلمين في شتى بقاع المعمورة؛ قال الله ﷻ: **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾** [الروم: ٢٢]. وهذا الاختلاف الحاصل بين لسان الشعوب جعله الله تعالى عُرْفًا لغويًّا بين الجماعات يتفقون عليه لأسباب يعرفونها أحيانًا، ويجهلونها أحيانًا أخرى. والتباين بين دلالات الجذور المعجمية لا يخرج عن ذلك، والباحث يذهب إلى أسباب أخرى تخص التباين على وجه الخصوص بين الدلالات، وهذه الأسباب تتلخص فيما يلي:

قلة الألفاظ، وكثرة المعاني - اختلاف اللهجات بين القبائل - التطور اللغوي

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث لم يورد المجاز هنا ضمن هذه الأسباب؛ لأن المجاز يقوم أساسه على علاقاتٍ لها صلة بأصل المعنى؛ مثل المشابهة وغيرها.

وهذه العلاقات المتدرجة – التي أشار الباحث إليها آنفًا – بين دلالات بعض جذور اللغة العربية، تلك التي يصل بعضها إلى التضاد أو الشذوذ أحيانًا، هي التي استخدم اللغويون وعلماء النفس لها صورًا من قياس المعنى؛ وأشاروا إلى أن ذلك يكون لتحقيق غرض قياس المعنى الأساسي للكلمات المتضادة، عن طريق وضع معيار متدرج لتحديد درجات الكلمات التي تقع في التضاد المتدرج بين طرفين متضادين؛ إذا كنا نبحث مثلًا عن تضادات لكلمة "دافئ" فهل يكون المضاد "معتدل"، أو "بارد"، أو "قارس"؟ كل هذا يحتاج - كما يقول العلماء - إلى عمل مقياس متدرج تُوَزَّعُ عليه كلمات التسلسل.

واستعمل الباحث مصطلح "التباين" في هذا البحث لأن ابن فارس نفسه عَبَّرَ عن جميع أنواع التفاوت بين دلالات الجذور المعجمية بالتباين؛ فكان يذكر لَفْظًا مِنَ الألفاظ الدالة

على التباين من جذر "ب ي ن"، ثم يُضِيفُ وَصْفًا آخَرَ مُحَدِّدًا نَوْعَ هذا التباين بين دلالات الجذور.

ثانيًا: منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي في هذا البحث منهجًا له، مُسْتَنِدًا إلى الاستقراء والإحصاء.

ثالثًا: الدراسات السابقة:

اطلع الباحث على بعض الدراسات السابقة التي تناول فيها أصحابها الأصول والجذور اللغوية عامَّةً أو في ضوء جهود ابن فارس، ويذكر هنا خمسة منها، فيوجد بحثان ظاهر عنوانهما أنهما قريبان من هذا البحث، لكن عند الاطلاع عليهما يتبين أنهما يدرسان نقاطًا أخرى غير موضوع هذا البحث، **أولهما:** بحث تحت عنوان "التباين اللغوي بين الأصول والجذور" منشور بمجلة الأثر، وهي مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد ٤، مايو ٢٠٠٥م، للدكتور سيدي محمد غيثري، ويتناول مشكلة التداخل بين الأصول والجذور لمحاولة الفصل بين المصطلحات التي تأتي بدلالات متقاربة من بعضها، ومعرفة الحالات التي تستوجب هذا المصطلح دون غيره. وتَوَصَّلَ هذا البحث إلى أن من الجذور ما تطور وتغير عما كان عليه، خاصة بسبب ما أصاب هذه الجذور من عوامل كثيرة، منها: القلب المكاني، الإبدال، التطور الدلالي؛ لذلك يصعب العودة بها إلى أصولها. **ثانيهما:** بحث تحت عنوان "ما وُصِفَ بشبه الضِّدِّ في العربية: دراسة ومعجم"، منشور بمجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج ٢٦، عدد ١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م، للدكتور فهيد بن عبد الله بن فهيد القحطاني، ويتناول ألفاظًا وردت في معاجم الأضداد وصفها اللغويون القُدامى بأنها (شِبْهُ ضدٍّ)، ويشرح أسباب ذلك، ويتتبع مرادفات المصطلح، ويحاول تعريفه، ووضع مفهوم له، ثم ختم البحث بمعجم لألفاظ شبه الضِّدِّ، وهذا البحث كما هو واضح يتناول دراسة تتعلق بالأضداد من الألفاظ في العربية وما يشبه هذه الأضداد مما لم يصل إلى درجتها،

وهو يختلف عن موضوع هذا البحث الذي يتناول التباين بين دلالات الجذور، وإن كان يتفق معه في تناول جزئية واحدة تَخُصُّ النَّوْعَ الثَّالِثَ من أنواع التباين عند ابن فارس: التَّبايُن الَّذِي كأَنَّهُ مِنْ بابِ الأَضْداد، ولكل بحث طريقة معالجته المختلفة لهذه النقطة. ثم يوجد بعد ذلك ثلاثة أبحاث أخرى في موضوع الجذور اللغوية عامة، وهي: الأصل والجذر في الدرس المعجمي: قراءة في المصطلح والمفهوم، صفاء صابر مجيد البياتي، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، العدد ١٩، مايو ٢٠١٦م. الأصول اللغوية في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وكتاب الجراثيم لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): دراسة موازنة، عبد القادر سلامي بن ميلود، وهجيرة نقاز، المجلة العربية مداد، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، العدد ١٣، المجلد ٥، أبريل ٢٠٢١م. الثراء الدلالي بتآلف المستوى المعجمي والصرفي: الجذور المعتلة في مقاييس اللغة أنموذجًا، د. عزة عدنان أحمد عزت، وغيداء عادل عبد القادر، مجلة دراسات العلوم الإسلامية، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) بالتعاون مع جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بالسودان، العدد ٣، يوليو ٢٠٢٢م. وفيما عدا هذه الأبحاث المذكورة لم يقف الباحث على دراسات سابقة عن التباين بين دلالات الجذور المعجمية عمومًا، أو عند ابن فارس على وجه الخصوص.

رابعًا: إحْصاءُ الجُذُورِ المُتَباينَةِ الدّلالَةِ عِنْدَ ابْنِ فارِسٍ:

الجذور التالية هي الجذور المتباينة الدلالة التي وقف الباحث على عَدِّها وإحصائها عند ابن فارس في المقاييس، ومجموعها ١٠١:

(أ ج ل – أ د ل - أ ه ب – أ ي م – ب غ غ – ت ب ن – ث ر ب – ث ل ل – ج د و/ ي – ج ر ش – ج ع ر – ج ل ل – ح ر ث – ح س ب – ح ص د – ح ل ف – ح ل م – ح م م – خ ر ص – خ ف ي – خ ل و/ ي – د ك ك – ر ج و – ر د أ – ر د ن – ر ع م – ر ق ي – ر م م - ر ن و / ي – ر و ث – ر ي س – ر ي م – ز ب ب – ز ه د – س ب أ – س ب ر – س ح ر – س ر و – س ع ف – س ف د – س

ل ق – س ل م – س ن ب – س ه د – ش ب م – ش ح ن – ش ط أ – ش ك ر – ش ن ف – ش ي ح – ش ي م – ص و ر – ض د د – ض ع ف – ض ن أ – ظ أ ب – ع ب د – ع ر و/ ي – ع ص و/ ي – ع م ش – غ ث م – غ ر ض – غ ز ل – ف د ي – ف س ط – ف ق ع – ق ب ل – ق ت ت – ق د ع – ق ر ح – ق ض م – ق ط ر – ق ع م – ق ن ن – ق و ي – ك ر ف – ل ب أ – ل ج ب – ل ح ظ – ل ع س – ل ه ق – ل و ب – م أ ن – م ج ع – م ز ن – م س ي – م غ ص – م ق ط – م ك ر – م ل ح – م و م – ن ش غ – ن ط س – ن ه ج – ن و ض – ه ر أ – ه ر و – و أ ي – و س ل – و ف ض – ي د ع).

خامسًا: أَنْواعُ التَّبايُنِ عِنْدَ ابْنِ فارِسٍ، وأَمْثِلَتُهُ:

أنواع التباين التالية التي جمعها الباحث هي نتيجة استقراء ما ذكره ابن فارس في المقاييس في مواضع شتى متفرّقة، حاول الباحث جاهدًا أن يَجْمَعَها كُلَّها، ولما جَمَعَها تَكَوَّنَتْ صُورَةٌ واضِحَةٌ أمامه لفكرة ابن فارس عن التباين وأنواعه؛ فاستند إليها الباحثُ، واستطاع من خلالها دراسة هذا البحث وتقسيم موضوعاته وعناصره.

النَّوْعُ الأَوَّلُ: التَّبايُنُ بالتَّباعُد: ومِنْ أَلْفاظِهِ الَّتي عَبَّرَ بها ابْنُ فارِسٍ عَنْهُ: (هُما مُتَباينانِ - كَلِمَاتٌ غَيْرُ مُنْقَاسَةٍ (أَوْ مُتَبَايِنَةُ الْقِيَاسِ)، لا يُشْبِهُ بَعْضُها بَعْضًا – مُتَبايِنَةٌ جِدًّا –

مُتَباينانِ بَعِيدٌ ما بَيْنَهُما – بَعيدَةُ القِياسِ - وسَتَرَى بُعْدَ ما بَيْنَهُما - مُتَباينَتانِ لا مُناسَبَةَ بَيْنَهُما - كَلِماتٌ مُتَباينَةٌ، لا تَكادُ تُجْمَعُ مِنْها كَلِمَتانِ في قِياسٍ واحِدٍ - كَلِماتٌ مُتَباينات، لا تُقاسُ مِنْها واحِدَةٌ بِأُخْرى - بَابٌ آخَرُ لَا يُشْبِهُ الَّذِي قَبْلَهُ - فَهَذَا الْبَابُ كَمَا تَرَاهُ لَا يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا - أَصْلٌ صَحِيحٌ، إِلَّا أَنَّ كَلِمَهُ لا تَنْقَاسُ، بَلْ تَتَبَايَنُ).

مِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ: قَوْلُ ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالصَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، إِلَّا أَنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ يَدُلُّ أَحَدُهُما عَلَى التَّجَمُّعِ، وَيَدُلُّ الْآخَرُ عَلَى الْفُرْقَةِ"(٣).

فالأصل الرئيس في دلالة الجذر (ع ص و/ ي) هو التَّجَمُّعُ؛ فإن العصا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاشْتِمَالِ يَدِ مُمْسِكِهَا عَلَيْهَا، ثُمَّ قِيسَ ذَلِكَ فَقِيلَ لِلْجَمَاعَةِ عَصًا. يُقَالُ: الْعَصَا: جَمَاعَةُ الْإِسْلَامِ، فَمَنْ خَالَفَهُمْ فَقَدْ شَقَّ عَصا الْمُسْلِمِين، قال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ): وَأَصْلُ الْعَصَا الِاجْتِمَاعُ وَالِائْتِلَافُ(٤)، وعَلَّقَ ابن فارس على ذلك قائِلًا: "وَهَذَا يُصَحِّحُ مَا قُلْنَاهُ فِي قِيَاسِ هَذَا الْبِنَاءِ"(٥)، والأصل الآخَرُ كما ذكر ابن فارس: "الْعِصْيَانُ وَالْمَعْصِيَةُ. يُقَالُ: عَصَى، وَهُوَ عَاصٍ، وَالْجَمْعُ عُصَاةٌ وَعَاصُونَ. وَالْعَاصِي: الْفَصِيلُ إِذَا عَصَى أُمَّهُ فِي اتِّبَاعِهَا"(٦).

وقولهم: "شَقَّ عَصا الْمُسْلِمِين" مَثَلٌ؛ فقد جاء في مجمع الأمثال: "شَقَّ فُلان عَصا الْمُسْلِمينَ: إذا فَرَّق جَمْعهم. قال أبو عبيد: معناه فَرَّق جَماعَتَهُمْ، قال: والأصل في العَصا الاجتماع والائتلاف، وذلك أنها لا تُدْعَى عَصًا حتى تكون جميعًا، فإن انشقَّت لم تُدْعَ عَصًا، ومن ذلك قولهم للرجل إذا أقام بالمكان واطمأنَّ به واجتمع له فيه أمرهُ "قَدْ أَلْقَى عَصَاهُ"؛ قال مُعَقِّر البارقي (شاعر جاهلي):

فألْقَتْ عَصَاها واستقرَّت بها النَّوَى كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابِ الْمُسَافِرُ

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٣٣٤.
(٤) انظر فيما سبق: المصدر السابق، ٤/ ٣٣٤، ٣٣٥.
(٥) المصدر السابق، ٤/ ٣٣٤.
(٦) المصدر السابق، ٤/ ٣٣٥.

قالوا: وأصل هذا أن الحادِيَيْنِ يكونانِ في رُفْقَة، فإذا فرَّقهم الطريقُ شُقَّتِ العصا التي معهما؛ فأخذ هذا نصفَها وهذا نصفها، يضرب مثلًا لكل فرقة. قال صِلة بن أشيم لأبي السليل: إياك أن تكون قاتلًا أو مقتولًا في شَقِّ عَصا المسلمين"(٧).

ويؤكد دلالة التَّجَمُّعِ أو الاجتماع والِائْتِلَاف لهذا الجذر اللغوي في أفعاله وأسمائه ما رواه الأصمعي عن بعض شيوخ البصريين أنه قال: إنما سميت العصا: عصا؛ لأن اليد والأصابع تجتمع عليها. وقال: هو مأخوذ من قول العرب: قد عصوت القوم أعصوهم: إذا جمعتهم على خير أو شر(٨).

ويُعَضِّدُ هذه الدلالةَ أيضًا قَوْلُ الحسن بن أحمد الهَمْداني (ت ٣٣٤ هـ):

ولكِنْ قد ترى مِنْهُ إذا ما تَعَصَّى السَّيْفَ ذا الأشبال دُونا(٩)

والباحث يجد أيضًا في دلالات هذه المادة اللغوية أفعالًا تحمل دلالات الأخذ والإعطاء؛ مثل الفعل اعتصى، فيقال اعتصى فلان بالعصا، إذا تَوكَّأَ عَلَيْها، وعَصَّى فلانًا العصا، أي أعطاه إياها يستعملها، وكل ذلك له مواضعه في المعاجم العربية وشواهده من الشعر والنثر، ولا حاجة إلى الإطالة بذكره هنا.

أما الأصل الآخر الذي يدل على الْفُرْقَةِ، فيظهر في القسمين الواوي واليائي لهذا الجذر، وإن كان أغلبه في القسم اليائي منه؛ فمن ذلك في الواوي: أعصى الكَرْمُ: خَرَجَتْ عِيدانُهُ أَو عِصِيُّه وَلم يُثْمِر، ومنه في اليائي: عَصى فُلانًا يَعْصِيهِ مَعْصِيَةً وعِصْيانًا: خرج من طاعته، وخالف أمره(١٠).

(٧) مجمع الأمثال، الميداني، ١/ ٣٦٤، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٨) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر بن الأنباري، ١/ ٤٨٤، تحقيق/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م.

(٩) الدامغة: قصيدة الحسن بن أحمد الهمداني، ص ٢٠٧، تحقيق/ مقبل التام عامر الأحمدي، مجلة التراث العربي، العدد (٩٥) شهر رجب، سنة ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م، السنة الرابعة والعشرون.

(١٠) انظر على سبيل المثال: اللسان والتاج، والمعجم الوسيط مادة "ع ص و"، و"ع ص ي".

وبناء على ما سبق يمكن للباحث التوصل إلى أن المعاني التي يشملها هذا الجذر الواوي اليائي (ع ص و/ ي) هي:

١. التَّجَمُّعُ والائْتِلافُ. ٢. الإعْطاءُ. ٢. الْفُرْقَةُ والْمُخالَفَةُ.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المعاني قد تزيد على ذلك إذا أمكننا العثور على شواهد أخرى لها دلالات جديدة، أو إذا استعمل الجذر في مستقبل اللغة بدلالات جديدة مستحدثة.

ومِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ أَيْضًا: قَوْلُ ابن فارس: "الْغَيْنُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي لَمْ تُوضَعْ عَلَى قِيَاسٍ وَاحِدٍ، وَكَلِمُهُ مُتَبَايِنَةُ الْأُصُولِ، وسَتَرَى بُعْدَ مَا بَيْنَهُما"(١١).

ولعل ابن فارس قال "وسترى بعد ما بينهما"؛ لما يلحظه مستخدم المعجم بمجرد النظر إلى معاني هذا الجذر المتباعدة؛ فمن ألفاظه ومعانيه كما نص ابن فارس وغيره من المعجميين: الغَرْضُ والغُرْضَةُ، بمعنى البِطَان، الذي هُوَ حِزَامُ الرَّحْلِ، وَالْمَغْرِضُ مِنَ الْبَعِيرِ كَالْمَحْزِمِ مِنَ الدَّابَّةِ. وَالْإِغْرِيضُ: الْبَرَدُ أو الطَّلْعُ. واللَّحْمُ الغَرِيضُ، وهو الطَّرِيُّ مِنْهُ، والغَرَضُ: الْمَلَالَةُ، يُقَالُ غَرِضْتُ بِهِ وَمِنْهُ. وَالْغَرَضُ: الشَّوْقُ، ومنه قَوْلُ إِبْراهِيمِ بنْ هَرْمَةَ (ت ١٧٦ هـ):

مَـنْ ذَا رَسُـولٌ نَاصِـحٌ فَـمُـبَلِّغٌ عَـنِّـي عُـلَـيَّةَ غَـيْـرَ قِـيـلِ الْكَـاذِبِ
أَنِّي غَرِضْتُ إِلَى تَنَاصُفِ وَجْهِهَا غَرَضَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَائِبِ(١٢)

وَيُقَالُ: غَرَضَتِ الْمَرْأَةُ سِقَاءَهَا: مَخَضَتْهُ، والغَرْضُ: النُّقْصَانُ عَنِ الْمِلْءِ. يُقَالُ: غَرِّضْ فِي سِقَائِكَ، أَيْ لَا تَمْلَأْهُ. وَيُقَالُ: وَرَدَ المَاءَ غَارِضًا، أَيْ مُبَكِّرًا. والمَغَارِضُ: جَوَانِبُ الْبَطْنِ أَسْفَلَ الْأَضْلَاعِ، الْوَاحِدُ مَغْرِضٌ(١٣).

ويلحظ الباحث أن بعض هذه المعاني بينها علاقة تضاد أو شبه تضاد؛ مثل الشَّوْقِ والمَلَلِ، وقد وجد الباحث صدى ذلك فيما نقله الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) عن شيخه؛ إذ

(١١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٤١٧.
(١٢) انظر: شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، ص ٧١، ٧٢، تحقيق/ محمد نفّاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٩ه/ ١٩٦٩م.
(١٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٤١٧، ٤١٨.

يقول: "قال شَيْخُنا: وَقد أَوْردَ ابنُ السِّيدِ الغَرَضَ بمَعْنَى الـمَلالِ والشَّوْقِ، وعَدَّه من الأَضْدادِ؛ لـمُنَاقَضَةِ الـمَحَبَّةِ والشَّوْقِ للمَلالِ والضَّجَرِ، قَالَ [شيخ الزبيدي]: وَهُوَ مَنْصُوصٌ أَيْضًا للمُبَرِّد فِي الكامِلِ. قُلْتُ [الزَّبيدي]: ومثْلُه فِي كِتَابِ ابْنِ القَطّاع"(١٤)، كما أشار بعض المعجميين إلى وجود ضِدٍّ آخر في معاني هذا الجذر، وهو: غَرَضَ الإِنَاءَ يَغْرِضُهُ، من حَدِّ ضَرَبَ: مَلأَه، كَمَا فِي الصّحاح، وكذَا غَرَضَ السِّقَاءَ والحَوْضَ، إذا مَلأَهُمَا. قال ابن سيده: وأُرَى اللِّحْيَانيّ حَكاهُ. وغَرَضَهُ أَيْضًا، إِذَا نَقَصَهُ عَنِ المَلْءِ؛ فَهُوَ ضِدٌّ، صَرَّح بِهِ الجَوْهَرِيّ"(١٥).

وفيما عدا ذلك فإن الغالب على هذا الجذر هو ما قرره ابن فارس من التباعد بين كَلِمِهِ.

ويشمل هذا الجذر أيضًا معاني أخرى، ومن ذلك استعمال الغرض بمعنى الهدف يُرْمَى فيه أو المقصد والحاجَة والبُغْيَة، ثمّ جُعِلَ اسْمًا لِكُلِّ غَايَةٍ يُتَحَرَّى إِدْراكُها، وغير ذلك من المعاني، ومن ثم يرى الباحث أن الأولى في وصف معاني هذا الجذر وتباين معانيه أن يُصاغَ كالتالي: الْغَيْنُ والرَّاءُ وَالضَّادُ أَرْبَعَةُ أُصُولٍ، أَصْلَانِ مُتَضَادَّانِ: أَحَدُهُمَا النِّزاعُ إلى الشيء والشَّوْقُ إليه، وَالْآخَرُ الـمَلَلُ. وَأَصْلَانِ مُتَضَادَّانِ: أَحَدُهُمَا: الملء، والآخَرُ النَّقْصُ، وفيما عدا ذلك فإنَّ كَلِمَهُ مُتَبَايِنَةُ الْأُصُولِ مِنَ الْأَبْوَابِ الَّتِي لَمْ تُوضَعْ عَلَى قِيَاسٍ وَاحِدٍ، وستَرَى بُعْدَ مَا بَيْنَهُما.

النَّوْعُ الثَّاني: التَّبايُنُ بالتَّضاد: ومن ألفاظه التي عَبَّرَ بها ابن فارس عنه: (بَابٌ مِنْ تَسْمِيَةِ الْمُتَضَادَّيْنِ بِالِاسْمِ الْواحِدِ - أَصْلانِ مُتَبايِنانِ مُتَضَادَّانِ - أَصْلَانِ مُتَضَادَّانِ - كَلِمَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ - أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ وَالْبِنَاءُ وَاحِدٌ - وَهَذَا خِلَافُ الْأَوَّلِ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَضَادَّاتِ - أَصْلٌ صَحِيحٌ، إِلَّا أَنَّهُ مُخْتَلَفٌ فِي تَفْسِيرِهِ عَلَى التَّضَادِّ).

(١٤) تاج العروس، الزبيدي، ١٨/ ٤٥٢.
(١٥) المصدر السابق، ١٨/ ٤٥٣، ٤٥٤.

مِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ: قَوْلُ ابن فارس: "الْخَاءُ وَالْفَاءُ وَالْيَاءُ أَصْلانِ مُتَبَايِنَانِ مُتَضَادَّانِ. فَالْأَوَّلُ السَّتْرُ، وَالثَّانِي الْإِظْهَارُ"(١٦).

فَالْأَوَّلُ -كما يقول ابن فارس -: "خَفِيَ الشَّيْءُ يَخْفَى، وأَخْفَيْتُهُ، وَهُوَ في خِفْيَةٍ وخَفَاءٍ، إِذَا سَتَرْتَهُ، ويَقُولُونَ: بَرِحَ الْخَفَاءُ، أَيْ وَضَحَ السِّرُّ وَبَدَا، وَيُقَالُ لِمَا دُونَ رِيشَاتِ الطَّائِرِ الْعَشْرِ، اللَّوَاتِي فِي مُقَدَّمِ جَنَاحِهِ: الْخَوَافِي. وَالْخَوَافِي: سَعَفَاتٌ يَلِينَ قَلْبَ النَّخْلَةِ، وَالْخَافِي: الْجِنُّ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْمُسْتَتِرِ: مُسْتَخْفٍ"(١٧).

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ - عند ابن فارس - خَفَا الْبَرْقُ خَفْوًا، إِذَا لَمَعَ، وَيَكُونُ ذَلِكَ فِي أَدْنَى ضَعْفٍ(١٨). وطبقًا لهذا المعنى يرى الباحث أن هذا المثال كان الأولى به أن يدرج عند ابن فارس في النوع الثالث من تقسيم أنواع التباين في هذا البحث، وهو التَّبايُنُ الَّذِي كأَنَّهُ مِنْ بابِ الأَضْداد؛ وذلك لأن الدلالة هنا مرتبطة بأدنى ضعف وهو ما يناسب المعنى الأصلي الأول وهو السَّتْرُ.

وقد أشار ابن فارس إلى ما يدل على تباين هذين الأصلين بوضوح فقال: وَيُقَالُ خَفَيْتُ الشَّيْءَ بِغَيْرِ أَلِفٍ، إِذَا أَظْهَرْتَهُ. وَخَفَا الْمَطَرُ الْفَأْرَ مِنْ جِحَرَتِهِنَّ: أَخْرَجَهُنَّ، واسْتَدَلَّ بقول امْرِئ الْقَيْسِ (ت ٨٠ق. هـ):

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ سَحَابٍ مُرَكَّبِ(١٩)

وَيُقْرَأُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ: ﴿**إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ [طه: ١٥] (بِفَتْحِ الأَلِفِ)، أَيْ أُظْهِرُهَا(٢٠).

(١٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٠٢.
(١٧) المصدر السابق.
(١٨) المصدر السابق.
(١٩) ديوان امرئ القيس، ص ٥١، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ورواية الديوان: خَفَاهُنَّ وَدْقٌ مِنْ عَشِيٍّ مُجَلِّبِ.
(٢٠) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٠٢.

وهي قراءة أبي الدرداء (ت ٣٢ هـ)، وابن جبير (ت ٩٥ هـ)، ومجاهد (ت ١٠٤ هـ)، والحسن (ت ١١٠ هـ)، وحميد (ت ١٣٠ هـ)، ويحتج بعض من يذهبون إلى ترجيح هذا المعنى ببيتٍ لكعب بن زهير (ت ٢٦ هـ)، يقول فيه:

دَأْبَ شَـهْرَيْنِ ثُـمَّ شَـهْرًا دَمِيكًـا بِـأَرِيكَيْنِ يَكْفِيـانِ غَمِـيرًا(٢١)

وهذا الرأي – من وجهة نظر الباحث – يكاد يكون من مجازات اللغة المتسعة، الذي يؤخذ به في ألغاز العبارات والأقوال، أو من باب التحريف، وهو احتمال قَوِيٌّ، ويُحْمَلُ عَلى ذَلِكَ قَوْلُ الفَرَزْدَقِ (ت ١١٠ هـ):

فَلَمَّـا رَأَى الحَجَّـاجَ جَـرَّدَ سَـيْفَهُ أَسَـرَّ الحَـرُورِيُّ الَّذِي كـانَ أَضْمَرَا(٢٢)

قال ابن منظور (ت ٧١١ هـ): "قالَ شَمِرٌ: لَمْ أَجِدْ هَذا الْبَيْتَ لِلْفَرَزْدَقِ، وما قال غَيْرَ أَبي عُبَيْدَةَ في قَوْلِهِ: ﴿**وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ**﴾ [يونس: ٥٤، سبأ: ٣٣]، أَي أَظهروها، قَالَ: وَلَمْ أَسْمَعْ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ. قَالَ الأَزهري: وأَهل اللُّغَةِ أَنكروا قَوْلَ أَبي عُبَيْدَةَ أَشدَّ الإِنكار"(٢٣).

وعَلَّقَ أبو حاتم السجستانيّ (ت ٢٥٥ هـ) على قول أبي عبيدة (ت ٢٠٩ هـ): "أسررت الشيء: أخفيته وأظهرته أيضًا"، وتفسيره ﴿**وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ**﴾ بـــ "أظهروها" بقوله: "ولا أثق بقوله في هذا والله أعلم، وقد زعموا أن الفرزدق قال:

فَلَمَّـا رَأَى الحَجَّـاجَ جَـرَّدَ سَـيْفَهُ أَسَـرَّ الحَـرُورِيُّ الَّذِي كـانَ أَضْمَرَا

(٢١) تفسير الطبري، ١٦/ ٣٦، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م، وانظر: شرح ديوان كعب بن زهير، ص ١٧٤، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م، وانظر كذلك: ديوان كعب بن زهير، تحقيق/ د. مفيد قميحة، ص ٧١، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠ه/ ١٩٨٩م، ورواية البيت فيهما:

دَأْبَ شَهْرَيْنِ ثُمَّ نِصْفًا دَمِيكًا بِأَرِيكَيْنِ يَكْدُمانِ غَمِيرا

(٢٢) تفسير الطبري، ١٦/ ٤٠.

(٢٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة "س ر ر".

ولا أَثِقُ أيضًا بقول الفرزدق في القرآن، ولا أدري لعلَّه قال: "الذي كان أظهرا"، أي كَتَمَ ما كان عليه، والفرزدق كثير التخليط في شعره، وليس في قول نظيريه جرير والأخطل شَيْءٌ من ذلك؛ فلا أثق به في القرآن"(٢٤).

ومن ثَمَّ فالأولى كما قال الطبري (ت ٣١٠ هـ) – بعد أن عرض الآراء في معنى الآية السابقة ورَجَّحَ مَعْنى السَّتْرَ -: "وغير جائز توجيه معاني كلام الله جل وعز إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به؛ ففي ذلك - مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه - شاهِدا عَدْلٍ على خطأ ما ذهبوا إليه فيه"(٢٥).

وبناء على ما سبق يمكن للباحث التوصل إلى أن المعنى الأساس الذي يشتمل عليه الجذر (خ ف ي) هو: السَّتْرُ، وأن معنى الْإِظْهَارِ الذي أشار إليه ابن فارس لا مانع أن يُؤْخَذَ به في حدود ضيقة لقلة شواهده؛ فلا يكاد يسلم منها إلا شاهد امرئ القيس، وقد يُؤَوَّلُ على أنه من باب دقائق اللغة أو ألغازها، كما تَسْتَعيرُ العَرَبُ السَّلِيمَ لِلْجَرِيحِ، وتُسَمِّي اللَّدِيغَ سَليمًا لأَنهم تَطَيَّروا مِنَ اللَّدِيغ فَقَلَبُوا الْمَعْنَى، كَمَا قَالُوا لِلْفَلاةِ مَفَازَةٌ، تَفَاءَلُوا بِالْفَوْزِ وَهِيَ مَهْلَكة، فَتَفَاءَلُوا لَهُ بِالسَّلَامَةِ(٢٦)، واللغة العربية أرحب من أن نضيق على معاني جذورها، لا سيما إذا استعمل الجذر في مستقبل اللغة بدلالات جديدة مستحدثة قد يدعم بعضها الدلالة في موضع حديثنا هذا.

ومِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ أَيْضًا: قَوْلُ ابن فارس: "الْفَاءُ وَالْوَاوُ وَالزَّاءُ كَلِمَتَانِ مُتَضَادَّتَانِ. فَالْأُولَى النَّجَاةُ وَالْأُخْرَى الْهَلَكَةُ"(٢٧).

واختلف العلماء في إثبات هذه الضِّدِّيَّةِ بين هاتين الكلمتين، وقد جمع بين آرائهم وأجاد في عرضها الزبيدي في التاج؛ إذ يقول: "قيل: أَصْلُ الـمَفازَةِ: الـمَهْلَكَةُ، من الفَوْزِ بِمَعْنى

(٢٤) الأضداد، أبو حاتم السجستاني، تحقيق/ أوغست هفنر، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت، ص ١١٥، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، سنة ١٩١٢م.
(٢٥) تفسير الطبري، ١٦/ ٤١.
(٢٦) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة "س ل م".
(٢٧) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٤٥٩.

الهَلاكِ. وقَالَ ابْن الأَعرابيّ: سُمِّيَتِ المَفازَةُ، مِنْ فوَّزَ الرَّجلُ، إذا ماتَ، وَقيل: سُمِّيَتْ تَفاؤُلًا بالسَّلامة، من الفَوز: النَّجاة، وَهَذَا قَوْلُ الأَصمعيّ حقَّقه ابنُ فَارس في الـمُجمَل وغيره، وَقد أَنكرَه أَبو حيَّانَ في شرح التَّسهيل حَيْثُ قَالَ: السَّليمُ للَّدِيغ، مِنْ سَلَمَتْهُ الحَيَّةُ: لَدَغَتْهُ، ولا تَنْظُر إِلَى قَول من قَالَ: إنَّه على طَرِيقَة التَّفاؤُلِ؛ فقد غَلِطَ في ذَلِك جماعةٌ من العلماءِ، كَمَا غَلِطُوا في قَولِهم: إنَّ الـمَفازَةَ سُمِّيَتْ من الفَوْزِ، على التَّفاؤُل، وإنَّما سُمِّيَتْ من فازَ الإنسانُ فَوْزًا، إذا هلَك. قَالَ شيخُنا: وما نفاهُ وجَعَلَهُ غَلَطًا فقد رواهُ جماعةٌ عَنِ الأَصْمَعِيّ، وقَدْ ذَكَروا فيها أَقْوالًا، مِنْهَا ما ذَكَرْناهُ، ومِنْهَا التَّأْويلُ، وصَحَّحَ أَقْوامٌ مَا ذهب إِلَيْهِ أَبو حَيَّان ... قُلْتُ [الزبيديّ]: والأَقوالُ ذَكرَها ابْن سِيده والأَزْهَرِيُّ وقالا: **الأَوَّلُ أَشْهَرُ، وإِنْ كانَ الآخَرُ أَقْيَس**"[٢٨].

فالأشهر أن مثل هاتين الكلمتين ليس بينهما تضاد في الحقيقة، وإنما هو – كما مر آنفًا في البحث - يُؤَوَّلُ على أنه من باب دقائق اللغة أو ألغازها، كما تَسْتَعيرُ العَرَبُ السَّلِيمَ لِلْجَرِيحِ، وتُسَمِّي اللَّدِيغَ سَليمًا لأَنهم تَطَيَّروا مِنَ اللَّدِيغ فَقَلَبُوا الْمَعْنَى، كَمَا قَالُوا لِلْفَلاةِ مَفَازَةٌ، تَفَاءَلُوا بِالْفَوْزِ وَهِيَ مَهْلَكة، فَتَفَاءَلُوا لَهُ بِالسَّلَامَةِ[٢٩]، أما **الأقيس** أنه يوجد تضاد بين الكلمتين كما ذهب إلى ذلك وحَقَّقَهُ أبو حَيّان (ت ٧٤٥ هـ)، وصَحَّحَهُ أَقْوامٌ مِنْ بَعْدِهِ.

ومن أشهر الشواهد على تَضادِّ هاتَيْنِ الكلمتين قَوْلُ كعب بن زهير:

فَمَنْ لِلْقَوافي شانَها مَنْ يَحوكُها إذا ما ثَوى كَعْبٌ وفَوَّزَ جَرْوَلُ[٣٠]

وقد أشار السُّكَّرِيُّ (ت ٢٧٥ هـ) إلى أنه لا يقال: فَوَّزَ فلان حتى يَتَقَدَّمَ الكلامَ كلامٌ، فيقال: مات فلان وفَوَّزَ فلان بعده[٣١].

(٢٨) تاج العروس، الزبيدي، ١٥/ ٢٧٣، ٢٧٤.
(٢٩) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة "س ل م".
(٣٠) انظر: شرح ديوان كعب بن زهير، ص ٥٩.
(٣١) انظر: المصدر السابق، ص ٥٩، ٦٠.

وذكر الصُّحارِيُّ – صاحب الإبانة – أن فَوَّزَ هنا في قول كعب أي صار في مفازة بين الدنيا والآخرة من البرزخ الممدود(٣٢)، وهو تفسير مقبول في ضوء عدم قبول التضاد بين الكلمتين، وأن الأمر على الاستعارة.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: التَّبايُنُ الَّذِي كأَنَّهُ مِنْ بابِ الأَضْداد: ومن ألفاظه التي عَبَّرَ بها ابن فارس عنه: (أَصْلانِ مُتَبايِنانِ، وكَأَنَّهُما مِنْ بَابِ الْأَضْدَادِ - أَصْلانِ صَحِيحَانِ كَأَنَّهُمَا مُتَضَادَّانِ - أَصْلَانِ صَحِيحَانِ لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ).

مِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ: قَوْلُ ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ أَصْلانِ صَحِيحانِ، كأَنَّهُما مُتَضَادَّانِ، وَ[الْأَوَّلُ] مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ يَدُلُّ عَلَى لِينٍ وَذُلٍّ، والْآخَرُ عَلَى شِدَّةٍ وغِلَظٍ"(٣٣).

ويشير ابن فارس إلى أن الأصل الأول - وهو الدال على اللين والذل - يتمثل في عبادة الله، والْعَبْدِ، وَهُوَ الْمَمْلُوكُ، وفعل الْمُشْرِكِينَ الذين يطلق عليهم: عَبْدَة الطَّاغُوتِ وَالْأَوْثَانِ، كما أشار إلى أن من هذا الْبَابِ الْبَعِير الْمُعَبَّد، أَيِ الْمَهْنُوء بِالْقَطْرَانِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُذِلُّهُ وَيَخْفِضُ مِنْهُ، قَالَ طَرَفَةُ:

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ(٣٤)

وَالْمُعَبَّدُ: الذَّلُولُ، يُوصَفُ بِهِ الْبَعِيرُ أَيْضًا. وَمِنَ الْبَابِ: الطَّرِيقُ الْمُعَبَّدُ، وَهُوَ الْمَسْلُوكُ الْمُذَلَّلُ.

أما الْأَصْلُ الْآخَرُ فهو الْعَبَدَةُ، وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالصَّلَابَةُ، يُقَالُ هَذَا ثَوْبٌ لَهُ عَبْدَةٌ، إِذَا كَانَ صَفِيقًا قَوِيًّا. وَفُسِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾** [الزخرف: ٨١]، أَيْ أَوَّلُ مَنْ غَضِبَ عَنْ هَذَا وَأَنِفَ مِنْ قَوْلِهِ(٣٥).

---

(٣٢) انظر: الإبانة في اللغة العربية، الصُّحاري، ٤/ ٢٩٩، تحقيق/ د. عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.

(٣٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٢٠٥.

(٣٤) ديوان طرفة بن العبد، ص ٤٤، تحقيق/ درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠م.

(٣٥) انظر فيما سبق: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦.

وإذا كان هذا الأصل الآخر له ما يدل عليه من هذا التفسير، وغيره مما ورد من أَثَرٍ رُوِيَ عن عَلِيِّ بْنِ أبي طالِبٍ رضي الله عنه (ت ٤٠ هـ)، وقول للفرزدق، أوردهما ابن فارس وغيره، فإن بعض العلماء كان لهم رأي آخر في تفسير الآية السابقة؛ قال أبو عبيد الهروي (ت ٤٠١ هـ): "قَالَ ابْن عَرَفَةَ: إنما يُقَال عَبِدَ يَعْبَدُ فهو عَبِدٌ، وقَلَّ ما يُقَال عابِدٌ، والقُرْآن لا يَأْتِي بالقَلِيلِ من اللّغَةِ، ولا الشَّاذِّ، ولكنَّ المعنَى: فأَوْلُ مَن يَعْبُدُ اللهَ على أَنّه واحِدٌ لا وَلَدَ لَهُ"(٣٦).

مما سبق يمكن للباحث التوصل إلى أن المعنى الأساس الذي يشتمل عليه الجذر (ع ب د) هو اللِّينُ والذُّلُّ، وأنَّ له معنًى آخرَ مباينًا له يدل عَلى شِدَّةٍ وغِلَظٍ، ويتفرع عن المعنى الثاني الأَنَفَة والغَضَب، إلا أن ابن فارس فاته أن يشير إلى أن الأصل الأول الدال على اللين والذل يتفرع عنه معنى الندامة ومَلامَة النَّفْس؛ فقد ورد في المعاجم أن العَبَد: النَّدَامَةُ، وَقد عَبِدَ، إذا نَدِمَ على فائِتٍ، أَو لَامَ نَفْسَهُ على تَقْصِيرٍ وَقَعَ مِنْهُ(٣٧).

ولعل هذا الجذر يتفرع عن أصوله معانٍ أخرى وردت في المعاجم العربية، فقد جاء في معانيه: التفرق، والحرص، والحبس والتأخر، والملازمة، والإسراع، والوَجْد والحُزْن.

وهذه المعاني وإن لم تكن أصلية فيه، فإنها على أية حال متفرعة عن أصوله، وترتبط مع هذه الأصول بوشائج قربى ونَسَبٍ، ولو أن ابن فارس أشار إليها لاكتملت وجوهها؛ فابن فارس – كما سيأتي في الأنواع التالية من أنواع التباين - كان يبحث قدر الإمكان عن مثل هذه الوشائج بين المعاني، إلى حَدٍّ قال فيه عن بعض المعاني في أكثر من

(٣٦) الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، ٤/ ١٢١٨، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ه/ ١٩٩٩م.
(٣٧) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٨/ ٣٣٣.

موضع: وَقَدْ يُتَمَحَّلُ لَهُ بِأَنْ يُقَالَ كذا، في محاولة منه للربط قدر استطاعته بين المعاني التي يضمها جذر واحد، والبحث لها عن قياسٍ ولو كان مُتَمَحَّلًا![٣٨].

وقد عَبَّرَ ابن فارس عن هذين الأصلين بوصفه "كأَنَّهُما مُتَضَادَّانِ"، ثم قال: "والْآخَرُ عَلَى شِدَّةٍ وغِلَظٍ"[٣٩]، وقال في موضع آخر بعده عند شرحه للأصل الآخر: "والْأَصْلُ الْآخَرُ الْعَبَدَةُ، وَهِيَ الْقُوَّةُ وَالصَّلَابَةُ"[٤٠]. وهو ما يُرَجِّحُ لدى الباحث أن هذا الجذر كان أولى به أن يكون مع الأصول المتضادة لا أن يكون مع الشبيه بالتضاد، بخلاف المثال التالي الذي سيعرضه الباحث.

ومِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ أَيْضًا: قَوْلُ ابن فارس: "الشِّينُ وَالْيَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلانِ مُتَبايِنانِ، وكأَنَّهُما مِنْ بَابِ الْأَضْدَادِ؛ إِذْ أَحَدُهُما يَدُلُّ عَلَى الْإِظْهَارِ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِهِ"[٤١].

وكان ابن فارس دقيقًا في تعبيره عن الشَّبيهِ بالضِّدِّ هنا؛ إذ ذَكَرَ أَنَّ أحد الأصلين يدل على الإظهار، والآخر يدل على خلافه، ولم يقل يدل على الإخفاء؛ ذلك أن الألفاظ والمعاني التي وردت خلاف الإظهار في هذا الجذر كانت: شام السيف بمعنى أغمده، وهو لا يعني إخفاءه بقدر ما يعني حفظه ووضعه في مكانه، والشِّيمَةُ التي هي خليقة الإنسان الداخلة المُستَكِنَّة فيه، والانشيام في الأمر، وهو الدخول فيه، والمَشِيمَةُ غشاء وَلَدِ الإنسان، كأَنَّ الولد انشام فيها. وهي كلها – كما يظهر – قريبة من الضِّدِّ، وإن لم تكن الضِّدَّ ذاته.

وقد شَكَّ أبو عُبَيْدٍ في قول: شِمْتُ السَّيْفَ بمعنى: سَلَلْته، وقال شَمِر عن ذلك: لا أَعْرِفُهُ[٤٢]. وإنما كانا يُثْبِتانِ شِمْتُ السَّيْفَ بمعنى أَغْمَدْتُهُ، وعلى ذلك وردت أكثر

(٣٨) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، المواضع التالية: ٣/ ٣٨٢، ٣/ ٣٩٥، ٣/ ٤٣٣، ٥/ ٥٤.
(٣٩) المصدر السابق، ٤/ ٢٠٥.
(٤٠) المصدر السابق، ٤/ ٢٠٦.
(٤١) المصدر السابق، ٣/ ٢٣٦.
(٤٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٣٢/ ٤٨٥.

الشواهد، وإنما اسْتَدَلَّ مَنِ اسْتَدَلَّ على المعنى الأول، وهو الاسْتِلالُ، بقولٍ للفَرَزْدَق يَصِفُ السُّيُوفَ:

إذا هِيَ شِيمَتْ فالقَوائِمُ تَحْتَها وإنْ لَمْ تُشَمْ يَوْمًا عَلَتْها القَوائِمُ(٤٣)

النَّوْعُ الرّابِعُ: التَّبايُنُ بالتَّفاوُت: ومن ألفاظه التي عَبَّرَ بها ابن فارس عنه: (بَابٌ لَمْ يُوضَعْ عَلَى قِيَاسٍ، وَأُصُولُ كَلِمِهِ مُتَبَايِنَةٌ - كَلِمَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْمَعْنَى جِدًّا - فِيهِ تَفَاوُتٌ؛ لِأَنَّهُ مُتَشَعِّبُ الْأَبْوَابِ جِدًّا - أَصْلانِ مُتَفَاوِتَانِ - وَقَدْ يَتَّفِقُ فِي أُصُولِ الْأَبْوَابِ هَذَا التَّفَاوُتُ الَّذِي تَرَاهُ فِي هَذِهِ الْأُصُولِ الْأَرْبَعَةِ - وَهُمَا مُتَفَاوِتَانِ - كَلِمَتَانِ مُتَفَاوِتٌ مَا بَيْنَهُمَا - كَلِمَاتٌ مُتَفَاوِتَةُ الْأُصُولِ، حَتَّى لا يَكَادَ يَجْتَمِعُ مِنْهَا ثِنْتَانِ وَاشْتِقَاقٌ وَاحِدٌ - بَابٌ مُتَفَاوِتُ الْكَلِمِ لَا تَكَادُ تَلْتَقِي مِنْهُ كَلِمَتَانِ فِي قِيَاسٍ وَاحِدٍ - بَابٌ مُتَفَاوِتٌ جِدًّا، لَا تَكَادُ كَلِمَتَانِ مِنْهُ تَجْتَمِعَانِ فِي قِيَاسٍ وَاحِدٍ - أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ فُرُوعٌ تَتَقَارَبُ فِي الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهَا بَعْضُ التَّفَاوُتِ - وَإِذَا كَانَ مَا بَعْدَ الْبَاءِ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَهْمُوزًا [سبأ] خَالَفَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ، وَكَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ).

مِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ: قَوْلُ ابن فارس: "الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالثَّاءُ أَصْلَانِ مُتَفَاوِتَانِ: أَحَدُهُمَا الْجَمْعُ وَالْكَسْبُ، وَالْآخَرُ أَنْ يُهْزَلَ الشَّيْءُ"(٤٤).

ولعل ابن فارس ذهب إلى أن هذا الجذر له أصلان متفاوتان لوجود تباعد بينهما؛ فلا علاقة بين الجمع والكسب من جهة، وأَنْ يُهْزَلَ الشَّيْءُ من جهة أخرى.

وهذا التفاوت يُقَدَّرُ بقَدْرِهِ في كُلِّ جَذْرٍ، فمنه ما هو مُتَفَاوِتٌ جِدًّا، كما قال ابن فارس، ولا تَكَادُ كَلِمَتَانِ مِنْهُ تَجْتَمِعَانِ فِي قِيَاسٍ وَاحِدٍ، مثل جذر "س ر و"؛ فَالسَّرْوُ: سَخَاءٌ فِي مُرُوءَةٍ، وَالسَّرْوُ: كَشْفُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ، وَهَذَا كُلُّهُ بَعِيدٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَحْمِلْهُ ابن فارس عَلَى الْقِيَاسِ، ومنه ما كَانَ فِي ظَاهِرِهِ بَعْضُ التَّفَاوُتِ، مثل جذر "م ل ح"؛ فهو أَصْلٌ صَحِيحٌ لَهُ فُرُوعٌ تَتَقَارَبُ فِي الْمَعْنَى، وَإِنْ كَانَ فِي ظَاهِرِهَا بَعْضُ

(٤٣) انظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ١١/ ٤٣٤.
(٤٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٤٩.

التَّفَاوُتِ؛ فَالْأَصْلُ الْبَيَاضُ، ومِنْهُ الْمِلْحُ الْمَعْرُوفُ، وَمَلَحْتُ الْقِدْرَ: أَلْقَيْتُ مِلْحَهَا بِقَدَرٍ. وَأَمْلَحْتُهَا: أَفْسَدْتُهَا بِالْمِلْحِ. وَيُقَالُ مَلَّحْتُ النَّاقَةَ تَمْلِيحًا، إِذَا لَمْ تَلْقَحْ فَعُولِجَتْ دَاخِلَتُهَا بِشَيْءٍ مَالِحٍ. وَمَلُحَ الشَّيْءُ مَلَاحَةً وَمِلْحًا ... إلخ(٤٥).

والباحث يرى صحة هذا التفاوت الذي أشار إليه ابن فارس، وما دامت هذه المعاني نقلت إلينا عن طريق السماع فلا مانع من اجتماعها في جذر واحد، وليس أفضل من مقولة الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) تعليقًا على أهمية السماع في نقل اللغة: "السَّماع فِي اللُّغَاتِ أَوْلَى بِنَا مِن القَوْلِ بالحَدْسِ والظَّنّ وابْتِداعِ قِيَاسَاتٍ لا تَسْتَمِرُّ ولا تَطَّرِدُ"(٤٦).

ولابن فارس قَوْلٌ يدعم قول الأزهري، وهو مما يخص هذا النوع الذي نحن بصدده الآن؛ فعنه يقول: "التَّاءُ وَالْبَاءُ وَالنُّونُ كَلِمَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ في الْمَعْنَى جِدًّا؛ وَذَلِكَ دَلِيلٌ أَنَّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَوْضُوعًا وَضْعًا مِنْ غَيْرِ قِيَاسٍ ولا اشْتِقَاقٍ"(٤٧).

ومِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ أَيْضًا: قَوْلُ ابن فارس: "الرَّاءُ وَالْيَاءُ وَالسِّينُ كَلِمَتَانِ مُتَفَاوِتٌ ما بَيْنَهُما"(٤٨).

والتَّفاوُتُ الذي يشير إليه ابن فارس هنا هو أن الرِّيَاسَ: قَائِمُ السَّيْفِ، أمّا الرَّيْسُ وَالرَّيَسَانُ فهما: التَّبَخْتُرُ(٤٩). وهذان المعنيان يظهر التفاوت بينهما – في رأي الباحث - في أن قائم السيف من لوازم السيف، والسيف نفسه مما يتبختر به في الحروب، فإن كان ثمة علاقة غير مباشرة فهي سبب هذا التفاوت الذي قد لا يتضح من الوهلة الأولى.

وقد أشار الأستاذ عبد السلام هارون (ت ١٤٠٨ هـ) – محقق مقاييس اللغة – إلى أن "الرئاس" مُسَهَّل المهموز، وأنه في سائر المعاجم في مادة "ر أ س"، وفي اللسان نص

(٤٥) انظر: المصدر السابق، ٣/ ١٥٤، ٥/ ٣٤٧.
(٤٦) تهذيب اللغة، الأزهري، ٢/ ٢٣٦، تحقيق/ عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
(٤٧) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٣٦٣.
(٤٨) المصدر السابق، ٢/ ٤٦٥.
(٤٩) المصدر السابق، ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦.

ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) على الشك في الكلمة، أهي يائية الأصل، أم مخففة من المهموز(٥٠).

النَّوْعُ الخامِسُ: التَّبايُنُ في الظَّاهِرِ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ يُمْكِنُ الجَمْعُ بَيْنَهُما: ومن ألفاظه التي عَبَّرَ بها ابن فارس عنه: (لَيْسَ أَصْلًا يُتَفَرَّعُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا فِيهِ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ فِي الظَّاهِرِ، وقد يمكن الجَمْعُ بَيْنَهُما مِنْ طَرِيقِ الِاشْتِقاقِ - كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى - كَلِمَتَانِ مُتَقَارِبَتَانِ فِي الْمَعْنَى، مُتَبَاعِدَتَانِ فِي الظَّاهِرِ - كَلِمَة لَعَلَّهَا تَبْعُدُ فِي الظَّاهِرِ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ قَلِيلًا - وَمِنَ الْبَابِ، وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ يَبْعُدُ مِنَ الْقِيَاسِ - فِي الظَّاهِرِ كَأَنَّهُ بَعِيدٌ مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي أَصَّلْنَاهُ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى قَرِيبٌ - وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ بَعِيدًا مِنَ الْقِيَاسِ فَهُوَ فِي الْمَعْنَى صَحِيحٌ).

مِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ: قَوْلُ ابن فارس: "الْهَمْزَةُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ كَلِمَتَانِ مُتَقَارِبَتَانِ فِي الْمَعْنَى، مُتَبَاعِدَتَانِ فِي الظَّاهِرِ"(٥١).

فالفرع الأول: الْإِدْلُ: اللَّبَنُ الْحَامِضُ، والفرع الثاني: الْإِدْلُ: وَجَعُ الْعُنُقِ. فَالْمَعْنَى فِي الْكَرَاهَةِ وَاحِدٌ، وَفِيهِ عَلَى رِوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ - كما يقول ابن فارس - قِيَاسٌ أَجْوَدُ مِمَّا ذَكَرهُ، بَلْ هُوَ الْأَصْلُ كما نَصَّ على ذلك. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: إِذَا تَلَبَّدَ اللَّبَنُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَلَمْ يَنْقَطِعْ فَهُوَ إِدْلٌ. وَهَذَا أَشْبَهُ بِمَا قَالَهُ الْفَرَّاءُ؛ لِأَنَّ الْوَجَعَ فِي الْعُنُقِ قَدْ يَكُونُ مِنْ تَضَامِّ الْعُرُوقِ وَتَلَوِّيهَا"(٥٢).

وهذا النوع يدل على محاولة ابن فارس الجمع بين معاني الجذر في الاشتقاق، وقد سبق – كما ذكر الباحث آنفًا – أنَّ ابن فارس كان يَتَلَمَّسُ ذلك عند من سبقه من العلماء، ويُفَضِّلُ قياسهم على قياسه.

(٥٠) المصدر السابق، ٢/ ٤٦٥.
(٥١) المصدر السابق، ١/ ٧١.
(٥٢) المصدر السابق.

ومِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ أَيْضًا: قَوْلُ ابن فارس: "اللَّامُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَانِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى"(٥٣).

وهذا المثال لاقى شَرْحًا مُفَصَّلًا من ابن فارس؛ إذ يقول: "فَالْكَلِمَةُ الْأُولَى: اللَّوْبُ وَاللُّوَابُ: الْعَطَشُ، وَالْفِعْلُ لَابَ يَلُوبُ، وَهُوَ لَائِبٌ. وَالْكَلِمَةُ الْأُخْرَى اللَّابَّةُ، وَهِيَ الْحَرَّةُ، وَالْجَمْعُ لُوبٌ. **وَالَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ** أَنَّ الْحَرَّةَ عَطْشَى، كَأَنَّهَا مُحْتَرِقَةٌ"(٥٤).

وإنما قال "كأنها محترقة"؛ لأن اللّابَةَ لا تَكُونُ إلّا حِجَارَةً سُودًا، وهذا ما جعل من المعاني المجازية لِلَّابَةِ: الجَمَاعَة من الإبِلِ المُجْتَمِعَةِ السُّودِ، شبَّهَ سَوادَهَا باللّابَةِ(٥٥).

وهذا النوع يكاد يقارب النوع الذي قبله "التَّبايُنُ بالتَّفاوُت"، إلا أن ما يميزه عنه أمران: **الأول** أنه تباين أو تفاوت في الظّاهِر. **الثاني**: أنه يُمْكِنُ الجَمْعُ بَيْنَ أُصُولِهِ.

النَّوْعُ السّادِسُ: التَّبايُنُ بالشُّذُوذ: ومن ألفاظه التي عَبَّرَ بها ابن فارس عنه: (وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذَا كُلِّهِ - وَمِمَّا شَذَّ عَنِ الْبَابِ - وَهُوَ شَاذٌّ عَنِ الْأَصْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ - وَمِنَ الشَّاذِّ عَنِ الْبَابِ - وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ - وَمِنَ الشَّاذِّ - يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَابِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ هُوَ شَاذٌّ - وَمِمَّا هُوَ شَاذٌّ لا قِيَاسَ لَهُ - إِنْ صَحَّ فَهُوَ شَاذٌّ عَنِ الْأَصْلِ الَّذِي أَصَّلْنَاهُ - وَالَّذِي شَذَّ عَنِ الْبَابِ - وَمِمَّا شَذَّ عَنِ الْأَصْلِ - وَمِنْ هَذَا الشَّاذِّ – فَأَمَّا ... الَّذِي هُوَ خِلَافُ ... فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ شَاذًّا عَنِ الْأَصْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ - وَقَدْ يُتَمَحَّلُ لَهُ بِأَنْ يُقَالَ ... وَهُوَ عِنْدَنَا إِلَى الشُّذُوذِ أَقْرَبُ - وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذِهِ الْأُصُولِ - وَمِمَّا شَذَّ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ - وَمُحْتَمَلٌ أَنْ يَكُونَ شَاذًّا عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا عَلَى بُعْدٍ، وَهُوَ إِلَى الشُّذُوذِ أَقْرَبُ).

مِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ: قَوْلُ ابن فارس: " وَيَقُولُونَ - إِنْ كَانَ صَحِيحًا - نَعْجَةٌ رَمَّاءُ، أَيْ بَيْضَاءُ، وَهُوَ شَاذٌّ عَنِ الْأُصُولِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا"(٥٦).

---

(٥٣) المصدر السابق، ٥/ ٢١٨.
(٥٤) المصدر السابق، ٥/ ٢١٨، ٢١٩.
(٥٥) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٤/ ٢٢٥.
(٥٦) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٨٠.

ومِنْ أَمْثِلَةِ هَذا النَّوْعِ أَيْضًا: قَوْلُ ابن فارس: "وَمِنَ الشَّاذِّ عَنِ الْبَابِ: خَلَا بِهِ، إِذَا سَخِرَ بِهِ"(٥٧).

قال الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ): "ومن المجاز: ... وخلا به: سَخِرَ مِنْهُ وخَدَعَهُ؛ لأنَّ السّاحِرَ والخادِعَ يَخْلُوانِ بِهِ يُرِيانِهِ النُّصْحَ والخُصُوصِيَّةَ"(٥٨).

وقال الزبيديُّ: "مِن المجازِ: خَلا بِهِ: إذا سَخِرَ مِنْهُ؛ عَنِ اللَّحْيانيّ، ونَقَلَهُ الزَّمَخْشرِيُّ أَيْضًا، قالَ الأَزْهرِيُّ: وَهُوَ حَرْفٌ غَرِيبٌ لَا أَعْرِفه لغير اللِّحْيانيّ، وأَظُنُّهُ حَفِظَهُ"(٥٩).

وبعض هذا النوع السادس لم يذكره الباحث في الإحصاء الخاص بالجذور المتباينة عند ابن فارس في بداية البحث؛ لأن بعض الشاذ عند ابن فارس كان يذكره ضمن جذور أصلها واحد أو متقارب المعاني.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن فارس كان يحمل على الشّاذِّ أحيانًا أسماء بعض الأماكن وأسماء بعض النباتات، أو الموازين، وهذا لم يجعله الباحث داخلًا في نطاق البحث.

وكان ابن فارس يذكر الشّاذَّ أحيانًا – كما أشارت إلى ذلك دراسة معاصرة – ثم يغير رأيه، مُسَوِّغًا ذلك بتقارب المعنيين، كما في (رعى) له معنيان: أحدهما المراقبة والحفظ، والآخر الرجوع، ومن الشاذِّ: الرَّعاوى والرُّعاوى، وهي الإبل التي يُعتمل عليها، وقد يكون أصلًا؛ لأنها تهرَم فتردّ إلى حالٍ سَيِّئَة(٦٠).

كما تجدر الإشارة أيضًا إلى اهتمام ابن فارس بذكر ما شَذَّ من معاني الجذور وما لم يَشِذَّ منها؛ فقد حَرَصَ في سِتَّةِ مواضع من كتابه على التأكيد على ما لم يَشِذَّ عَنْ أصول

(٥٧) المصدر السابق، ٢/ ٢٠٥.

(٥٨) أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٢٤٩، تقديم/ د. محمود فهمي حجازي، ود. عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، إصدار مايو ٢٠٠٣م، وهي طبعة مصورة عن الطبعة الثانية لمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.

(٥٩) تاج العروس، الزبيدي، ٣٨/ ١١، ١٢.

(٦٠) انظر: الثراء الدلالي بتآلف المستوى المعجمي والصرفي: الجذور المعتلة في مقاييس اللغة أنموذجًا، د. عزة عدنان أحمد عزت، وغيداء عادل عبد القادر، ص ٤٠، مجلة دراسات العلوم الإسلامية، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) بالتعاون مع جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بالسودان، العدد ٣، يوليو ٢٠٢٢م

معاني الجذور، فكان بعد أن يَذْكُرَ أَنَّ معنى هذا الجذر أَصْلٌ وَاحِدٌ، يقول عبارات مثل: لا يَشِذُّ عَنْهُ مِنَ الْبَابِ شَيْءٌ، لا يَشِذُّ مِنْهُ شَيْءٌ، لا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ، لا يَشِذُّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ هَذا الْبَابِ(٦١).

تبقى الإشارة إلى ابن فارس كان حريصًا على إيضاح الفروع الدلالية لأصول الجذور إن وجدت، وهذا واضح بكثرة في "المقاييس"، وكان حريصًا أيضًا على التأكيد على أصول جذور أخرى أنها ليست لها فروع، سواء أكانت متباينة الدلالة أم لا، ومن أمثلة ذلك قوله: "الثَّاءُ وَالرَّاءُ وَالْبَاءُ كَلِمَتَانِ مُتَبَايِنَتَا الْأَصْلِ، لا فُرُوعَ لَهُمَا"(٦٢).

سادسًا: الخاتمة: أَحْمَدُ اللهَ تعالى وأشكره، ثم أوجز أَهَمَّ **نَتائِجِ البَحْثِ** فيما يلي:

١. تَنَوَّعَتْ عَلاقاتُ التَّبايُنِ بين دلالات الجذور المعجمية عند ابن فارس.
٢. الحذر من التحريف، الذي قد يكون وراء اعتماد معانٍ لا تشتملها أصول الجذور المعجمية.
٣. قد تزيد أصول معاني الجذر إذا أمكن العثور على شواهد أخرى لها دلالات جديدة، أو إذا استعمل الجذر في مستقبل اللغة بدلالات جديدة مُسْتَحْدَثَة.
٤. الحاجة إلى أبحاث جديدة تُجْمَعُ فيها كلمات التسلسل بين المتضادات.
٥. فات ابن فارس أن يشير إلى أن بعض الأصول لها فروع، على الرغم من اهتمامه بذلك في كتابه، ويمكن استدراك ذلك عن طريق تتبع هذه الفروع في المعاجم الأخرى.
٦. الأصول المتناقضة يسعنا قبولها ما دامت نقلت إلينا عن طريق السماع؛ فلا مانع من اجتماعها في جذر واحد؛ فالسَّماع في اللُّغَاتِ أَوْلَى مِن ابْتِداعِ قِيَاسَاتٍ لا تَطَّرِدُ.

(٦١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، المواضع التالية: ١/ ٣٦٢، ٢/ ٥، ٢/ ٢٠، ٣/ ١٦٩، ٤/ ١١٢، ٥/ ١٢٤.
(٦٢) المصدر السابق، ١/ ٣٧٥.

٧. حاول ابن فارس التقريب بين معاني الجذور المتباينة في الظّاهِرِ عن طريق الجمع بينها في الاشتقاق.

٨. جهود ابن فارس - في ظل التطور اللغوي – تحتاج إلى تكليلها بإضافات حديثة، ولعل نَهْجَ المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية، والمعجم التاريخي الصادر عن اتحاد المجامع اللغوية في الاهتمام بأصول دلالات الجذور - بدايةٌ تُحْمَدُ على طريق جمع الأصول اللغوية لدلالات الجذور المعجمية.

سابعًا: مَراجِعُ البَحْثِ

أولًا: المصادر:

١. الإبانة في اللغة العربية، الصُّحاري، تحقيق/ د. عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.

٢. أساس البلاغة، الزمخشري، تقديم/ د. محمود فهمي حجازي، ود. عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، إصدار مايو ٢٠٠٣م، وهي طبعة مصورة عن الطبعة الثانية لمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.

٣. الأضداد، أبو حاتم السجستاني، تحقيق/ أوغست هفنر، ضمن ثلاثة كتب في الأضداد للأصمعي والسجستاني وابن السكيت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، سنة ١٩١٢م.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق/ مصطفى حجازي وآخرين، مراجعة/ عبد الستار أحمد فراج وآخرين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥. تفسير الطبري، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط ١، سنة ١٤٢٢ه/ ٢٠٠١م.

٦. تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق/ عبد السلام هارون وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٧. الدامغة: قصيدة الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق/ مقبل التام عامر الأحمدي، مجلة التراث العربي، العدد (٩٥) شهر رجب، سنة ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م، السنة الرابعة والعشرون.

٨. ديوان امرئ القيس، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٧٧ه/ ١٩٥٨م.

٩. ديوان طرفة بن العبد، تحقيق/ درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٠م.

١٠. ديوان كعب بن زهير، تحقيق/ د. مفيد قميحة، دار الشوّاف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤١٠ه/ ١٩٨٩م.
١١. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر بن الأنباري، تحقيق/ حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م.
١٢. شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م.
١٣. شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق/ محمد نفاع، وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٩ه/ ١٩٦٩م.
١٤. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، تحقيق/ أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ه/ ١٩٩٩م.
١٥. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق/ عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٩٨١م.
١٦. مجمع الأمثال، الميداني، ١/ ٣٦٤، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٧. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ثانيًا: المراجع:

١٨. التباين اللغوي بين الأصول والجذور، د/ سيدي محمد غيثري، بحث منشور بمجلة الأثر، مجلة الآداب واللغات، جامعة ورقلة، الجزائر، العدد ٤، مايو ٢٠٠٥م.
١٩. علم الدلالة، د/ أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.
٢٠. الثراء الدلالي بتآلف المستوى المعجمي والصرفي: الجذور المعتلة في مقاييس اللغة أنموذجًا، عزة عدنان أحمد عزت، وغيداء عادل عبد القادر، مجلة دراسات العلوم الإسلامية، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح) بالتعاون مع جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بالسودان، العدد ٣، يوليو ٢٠٢٢م.

٢١. ما وُصِفَ بشبه الضد في العربية: دراسة ومعجم، د/ فهيد بن عبد الله بن فهيد القحطاني، بحث منشور بمجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج ٢٦، عدد ١، ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م.

٢٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٥، سنة ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

* * *